

الكشاف

وإنا سمعنا : بالكسر ؛ لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخيرين " وأن المساجد " الجن : 18 ، " وانه لما قام " الجن : 19 ، ومن فتح كلهن فعطفا على محل الحار والمجرور في آمنة به كأنه قيل : صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيها وكذلك البواقي " نفر من الجن " جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقيل : كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود إليس منهم " فقالوا إنا سمعنا " أي : قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله : " فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا " الأحفاد : 29 - 30 ، " عجا " بديعا مباينا لسائر المتب في حسن نظمه وصحة معانية قائمة فيه دلائل الإعجاز . وعجب مصدر يوضع موضع العجيب . وفيه مبالغة : وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره " بهدى إلى الرشده " يدعو إلى الصواب . وقيل : إلى التوحيد والإيمان . والضمير في " به " للقرآن ؛ ولما كان الإيمان به إيمانا باء وبوجدانيته وبراءة من الشرك : قالوا : " ولن نشرك بربنا أحدا " أي : ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان . ويجوز أن يكون الضمير D ؛ لأن قوله : " بربنا " يفسره " جد ربنا " عظمته من قولك : جد فلان في عيني أي : عظم . وفي حديث عمر B : كان الرجل منا إذا قرأ القرءة وآل عمران حد فينا . وروي : في أعيننا . أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت ؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى : وصفه بالتعالي عن صاحبة والولد لعظمته . أو لسلطانه وملكوته أو لغناه . وقوله : " ما اتخذ صاحبة ولا ولدا " بيان لذلك . وقرئ جدا ربنا " على التمييز و جد ربنا بالكسر أي : صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ صاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقدوه كفره الجن من تشبيهه اء بخلقه واتخاذة احبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه . سفيهم : إبليس لعنه اء أو غيره من مردة الجن . والشطط : مجاوزة الحد في الظلم وغيره . ومنه : أشط في السوم إذا أبعده فيه أي : يقول قولا هو في نفسه شطط ؛ لفرط ما أشط فيه وهو نسبة صاحبة والولد إلى اء وكان في ظننا أن أحدا من الثقليين لن يكذب على اء ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيم أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم " كذبا " قولا كذبا أي : مكذوبا فيه . أو نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول . ومن قرأ أن لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة ؛ لأن التقول لا يكون إلا كذبا .

" وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا " الرهق : غشيان المحارم . والمعنى : ان الإنس باستعازتهم بهم زادوهم كبيرا وكفرا ؛ وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسائره وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم ؛ فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الجن والإنس ؛ فذلك رهقهم . أو فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم وإضلالهم لاستعازتهم بهم " وأنهم " وأن الإنس " ظنوا كما ظننتم " وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض . وقيل الآيتان من جملة الوحي . والضمير في وأنهم ظنوا للجن والخطاب في " ظننتم " لكفار قريش .

" وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهيا وأنا كنا نقعد منها ماعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا " اللمس : المس فاستعير للطلب ؛ لأن الماس طالب متعرف قال : .

مسسنا من الآباء شيئا وكلنا ... إلى نسب في قومه غير واضح .

يقال : لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه ونحوه : الجس . في قولهم ؛ جسوه بأعينهم وتجسسوه . والمعنى : طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها . والحرس : اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ؛ ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقليل : شدادا ؛ ونحوه .

أخشى رجلا أو ركيبا غاديا